

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء

رسالةٌ مفتوحةٌ للجبهةِ السلفيةِ وغيرهم

للشيخ

أبي حاتم محمد بن كمال السيوطي

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

رسالةٌ مفتوحةٌ للجبهةِ السلفيةِ وغيرهم

(٢)

وهنا نكتةٌ جليلةٌ وهي : أنه إنما يظهرُ التسليمُ الكاملُ المطلقُ للنصِّ عند عدمِ معرفة وجهِ الحكمةِ فيه ، فحينها يتصارعُ الهوى والهُدى ، والمعصومُ من عصمَ اللّهُ ، لأنه إذا بانَ لك وجهُ الحكمةِ فاتَّبعت النصَّ ، فربما يكون اتباعُك إنما هو للرأي أيضاً ـ وأنتَ لا تدري ـ لأنكَ في الواقعِ اتَّبعتَ ما اقتنعتَ به ، ولو لم تقتنعْ لم تتبعْ ، وهنا الخطأُ كلُّ الخطأِ ، لأن الأنبياءَ يأتون بما تَحارُ فيه العقولُ ، لا بما تُحيله العقولُ ، كما يقوله شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رحمه اللّه ، وعقدُ إسلامِك مقتضاه : الإقرارُ بأنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ بكلِّ شيءٍ عليمٍ ، لا تعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السماواتِ ولا في الأرضِ ، وأن أفعالَه كلَّها عدلٌ ، وحكمةٌ ، ورحمةٌ ، فمقتضى العقلِ السليمِ : التسليمُ للعليمِ القديرِ ، الحكيمِ الخبيرِ ، وإذا كانت العربُ تقولُ :(شاورْ حكيماً ولا تعْصِهِ ، وأرسلْ حكيماً ولا تُوْصِهِ) ونَظَمها بعضُهم وتروى للزبيرِ بنِ عبد المطلبِ

إذا كنت في حاجَةٍ مُرْسِلاً ... فأَرْسِلْ حَكِيماً ولا تُوصِهِ

وإنْ بابُ أَمْرٍ عليكَ الْتَوَى ... فشاوِرْ لَبِيباً ولا تَعْصِهِ

وإنما قالت العربُ : (أرسلْ حكيماً ولا تُوصِهِ) لأنك بإقراركَ أنه حكيمٌ أقررتَ أنه يضعُ الأمورَ في مواضِعِها اللائقةِ بها ، وهذا هو معنى الحكمةِ ، فلا تحتاجُ حينئذٍ إلى الوصيةِ ، وكذلك قولُهم (شاورْ حكيماً ولا تعْصِهِ) لأنك بإقراركَ أنه حكيمٌ ، تقرُّ بأنه أدرى منكَ بمداخلِ الأمورِ ومخارجِها ، ويظهرُ له من وجوه

الحكمةِ في الأمر ، ما لا يظهرُ لك ، فلا يصلحُ إلا التسليمُ له ، وعدمُ معصيته ، وإلا كنتَ بمعصيتكِ له كالمقرِّ بنفي الحكمةِ عنه ، لأنك إمَّا أن تقرَّ بحكمتهِ وهذا يعنى أنه وضعَ الأمرَ في موضعهِ فلا مفرَّ من التسليمِ له ، وإما أن تقولَ لم يضعْهُ في موضعهِ فتكون مُقرّاً حينئذٍ أنه ليسَ بحكيمٍ ، ولا مناصَ من أحدهِما ، فإذا كانت العربُ تقرُّ بأنَّ من شاورَ حكيما من البشر يلزمه ألا يعصيَه ، فكيفَ باللّه الحكيمِ الذي بهرت حكمتُه العقولَ ، وخضعتْ لها القلوبُ والخلائقُ ، واعتبرْ بقصةِ ! موسى والخضرِ عليهما السلامُ ، فإنَّ ما فعله الخضرُ جرى على وفقِ الحكمةِ ، مع أنَّ ذلك لم يظهرْ لموسى عليه السلام إلا بعد إيضاحِ الخضرِ له

فأنت إذا لم يظهرْ لكَ وجهُ الحكمةِ في تحريمِ الخروجِ على الأئمةِ رغم كونهم فُسَّاقاً فما عليكَ إلا التسليمُ لأمرِ النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فليسَ رجلٌ من بني آدمَ أحكمَ منه ـ ولو لم يوحى إليه ـ فكيفَ وهو يوحى إليه